

التدابير الوقائية لمنع النزاعات
دراسة من منظور السنة النبوية

د. عصام عبد الله الضو (*)

مستخلص البحث:

عالج هذا البحث موضوع التدابير الوقائية التي نصّت عليها الأحاديث النبوية لمنع النزاعات وهدف البحث إلى بيان اهتمام السنة النبوية بموضوع النزاع وبيان أسباب حدوث النزاعات والتعريف بالتدابير الوقائية لمنع حدوث النزاع في السنة النبوية، وأُعدت في كتابة هذا البحث على المنهج التاريخي الوصفي، وقام هيكل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة تناولت في المقدمة أهمية الموضوع ومشكلة البحث وأهدافه منهجه وهيكله، وفي المبحث الأول جاء التعريف بالنزاع وبيان دواعيه وأسبابه، أما المبحث الثاني فتم تخصيصه لدراسة الوسائل الوقائية لمنع النزاعات من خلال السنة النبوية، وختمت البحث بخاتمة أوردت فيها النتائج والتوصيات وتم ترتيب البحث بقائمة للمصادر والمراجع المعتمدة في البحث، وأهم النتائج التي توصل إليها البحث هي: أن مصطلح النزاع يطلق ويعبر به عن المخاصمة والمجادلة والاختلاف الذي يقع بين الأفراد والجماعات والدول، وهناك أسباب ودواعي كثيرة تجر إلى النزاعات منها: التضارب في الأهداف والمصالح والظلم وعدم العدل، بجانب الأثرة وحب النفس ويعد شيوع الظلم في الأرض من أعظم الأسباب التي تؤدي للنزاعات، وفي السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي فيها بعض التدابير والوسائل الوقائية التي تمنع من وقوع النزاعات منها إقرار العدل

(*) أستاذ مساعد بكلية الدراسات الإسلامية، جامعة إفريقيا العالمية، قسم الحديث وعلومه، السودان.

وإبرازه كقيمة أخلاقية تحفظ النفس، ومحاربة العصبية والتحلى بالأخلاق الفاضلة مثل: الحلم وعدم الغضب والرفق والصمت وحفظ اللسان، وكانت أهم توصيات البحث ضرورة الاهتمام بصيانة المجتمع المسلم من النزاعات التي تؤدي إلى التفرق وذهاب القوة والفضل. والاهتمام بغرس القيم الأخلاقية في أفراد المجتمع بصورة عامة وفي النش على وجه الخصوص لوقايته وتحصينه من جميع الشرور والآفات.

Abstract

This research investigates the precautionary measures cited in the prophetic traditions to safeguard conflicts. It explains prophetic traditions' concern over conflicts, the causes of these conflicts' and introduces the reader to these measures in the traditions. The historical descriptive method has been applied' and the research consist of an introduction, two chapters and a conclusion. In the introduction, I explained the significance of the topic, and the research problem besides the research's objectives, approach and plan. The first chapter defined conflict and showed its reasons the second chapter has been allocated for investigating the precautionary measures for safeguarding against conflict as in the prophetic hadiths.

In the conclusion, I listed the results and recommendations. In the end, I gave a list of the sources and references used in the research.

The most important results are: the reason of conflict are the difference of aims, interests, besides injustice, selfishness, injustice being the greatest of them all . Sunna has included lots of precautionary measures to comb conflict, including the prevalence of justice and highlighting it as an ethical value than conserves lives it is also important to combat fanaticism and adopting good values, like tolerance, leniency speaking the least possible

The most important recommendation was: concerning the Muslim society against conflict that leads to especially among the youth's failure and weakness, and spreading good ethics.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد فقد بعث الله تعالى رسوله الكريم ﷺ على حين فترة من الرسل ففتح به قلوباً غلغلاً وأعيناً عمياً وأذاناً صمماً، وقد قام ﷺ: بأداء الأمانة فبلغ الرسالة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك مع إخباره لنا بأن الاختلاف والنزاع واقع لا محالة فقال ﷺ (وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)، ثم أخبرنا بالعلاج الناجع لهذا الاختلاف والنزاع في قوله: (فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَعَلَيْكُمْ)⁽¹⁾، وقد قرر القرآن الكريم مشروعية الرجوع إلى الله

(1) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند 126/4 حديث 17182 قال حثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا معاوية يعني بن صالح عن ضمرة بن حبيب عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي انه سمع العرابض بن سارية=

تعالى وإلى رسوله الكريم عند حدوث النزاع فقال جلّ شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩) (1)، فالرجوع عند التنازع في أي أمر إلى كتاب الله، وسنة رسول الله شرط من شروط الإيمان، يقول الطبري في تفسير هذه الآية: (فرد ما تنازعتم فيه من شيء إلى الله والرسول {خير} لكم عند الله في معانكم وأصلح لكم في دنياكم لأن ذلك يدعوكم إلى الألفة وترك التنازع والفرقة) (2)، وقوله تعالى في هذه الآية: {ذَلِكَ خَيْرٌ} أي راكم ما اختلفتم فيه إلى الكتاب والسنة خير من التنازع {وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} أي مرجعاً (3).

ونتناول في هذا البحث بشئ من التفصيل التدابير الوقائية لمنع النزاعات من منظور السنة النبوية.

أهمية الموضوع:

يشهد عالم اليوم العديد من المشاكل والنزاعات التي تحدث بين الأفراد والجماعات والمجتمعات والدول من حين إلى آخر، وأعتها هو ما موجود بين الجماعات والدول والشعوب الإسلامية سواء كانت المتجاورة منها أم المتباعدة جغرافياً، وقد تسببت تلك الخلافات والأزمات في بعض الأحيان بوجود صراعات دامية بينها وبنزاعات سياسية مستمرة، وفي أغلب تلك النزاعات لم تستطع مختلف هذه الجهات أن تجد لنفسها الحلول

= وإسناده حسن فيه عبد الرحمن بن عمرو السلمي الشامي، مقبول (تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى 1986م، تحقيق: محمد عوامة ص347) ولكن تابعه يحيى بن أبي المطاع وهو صدوق (تقريب التهذيب ص 597).

(1) سورة النساء الآية: 59.

(2) جامع البيان عن تأويل أي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر الطبري، دار الفكر بيروت 1405هـ - 149/4.

(3) الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م 249/5.

المناسبة النابعة من روح الإسلام والمعتمدة على الفهم الحقيقي لأحكام التشريع السمحاء، وبالتالي فإنها تلجأ إلى المواثيق الدولية المعاصرة التي في الغالب لا تتناسب مع المجتمعات والدول الإسلامية، من هنا يتضح لنا ضرورة العودة إلى الإسلام وتحكيمه في جميع أنواع النزاعات، فواقع الوجود الإنساني يثبت أن الإسلام دين الإنسانية، عقيدة وشريعة، فمنذ ظهوره حتى اليوم وإلى قيام الساعة، وهو خير دين وأكمل، ولهذا جعله الله خاتم الأديان كما جعل الرسول الذي بعثه به خير الرسل وأفضلهم وخاتمهم، وللسنة النبوية الشريفة منزلة عظيمة في التشريع الإسلامي، وهي: "كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية، سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها" (1).

وقد تواترت الروايات على حجية السنة النبوية الشريفة، وتظاهرت الأدلة على أهميتها في خدمة الكتاب العزيز، من هنا كان معرفة السنة النبوية فرض وواجب ذلك لأنها صنو القرآن الكريم في التشريع وهي المقيد لمطلق القرآن الكريم والمبين والشارح والمفسر له وقد بين الله تعالى ذلك في قوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ (2).

وباستعراضنا للسنة النبوية نجد الكثير من الأحاديث التي فيها بعض التدابير الوقائية التي تمنع من وقوع النزاعات بين الأفراد والجماعات، إن معرفة هذه الأحاديث والعمل بها يُعصم من تفشي النزاعات بين أفراد المجتمع.

مشكلة البحث:

حتر الله تعالى من الفرقة والنزاع، وأخبر أنها سبب للفشل وذهاب الريح، فقال جل شأنه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ

(1) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض 1/194.

(2) سورة النحل الآية: 44.

الصَّيْرِبِ ﴿٤٦﴾⁽¹⁾، فهذه الآية تشير إشارة واضحة إلى ضرورة ترك النزاعات لما تجلبه من فشل وضعف وتظهر آثارهما على الأفراد والمجتمعات والأمة بشكل عام، وتنبؤ مشكلة هذا البحث في السؤال التالي: ما هي التدابير الوقائية التي نصت عليها الأحاديث النبوية لمنع النزاعات؟ ويتفرع من هذا السؤال أسئلة أخرى وهي:

[1] ما المقصود بمصطلح النزاع؟

[2] ما هي أسباب ودواعي النزاعات؟

[3] ما هي الآثار المترتبة على حدوث النزاعات بين الأفراد والجماعات؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان الآتي:

- بيان اهتمام السنة النبوية بموضوع النزاع.

- بيان أسباب حدوث النزاعات.

- التعريف بالتدابير الوقائية لمنع حدوث النزاع في السنة النبوية.

- جمع ودراسة وتخريج الأحاديث التي بها تدابير وقائية لمنع النزاعات.

- بيان أثر تطبيق تعريف التدابير الوقائية لمنع حدوث النزاع في السنة النبوية.

منهج البحث:

المنهج المستخدم في هذا البحث هو المنهج التاريخي الوصفي، وقد اقتضى ذلك

جمع المادة المتعلقة بموضوع البحث من المصادر والمراجع المختلفة ودراستها وتحليلها

بهدف الوصول إلى النتائج المرجوة من البحث.

هيكل البحث:

يقوم هيكل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة على هذا النحو:

(1) سورة الأنفال الآية: 46.

المقدمة:

وتتضمن:

- أهمية الموضوع.
- مشكلة البحث.
- أهداف البحث.
- منهج البحث.
- هيكل البحث.

المبحث الأول: التعريف بالنزاع وبيان دواعيه وأسبابه

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التعريف بمصطلح النزاع في اللغة والاصطلاح.
- المطلب الثاني: دواعي وأسباب النزاع.

المبحث الثاني: الوسائل الوقائية لمنع النزاعات من خلال السنة النبوية

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: دور السنة النبوية في إبراز قيم العدل والوفاء بالعهد.
- المطلب الثاني: محاربة العصبية.
- المطلب الثالث: الدعوة إلى مكارم الأخلاق.

الخاتمة:

النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع:

بترتيب حروف المعجم بتقديم اسم الكتاب على اسم المؤلف.

المبحث الأول

التعريف بالنزاع وبيان دواعيه وأسبابه

المطلب الأول: التعريف بمصطلح النزاع في اللغة والاصطلاح:

في اللغة: النزاع مأخوذ من مادة [ن ز ع] التي تدلّ على قلع الشيء، وفي ذلك يقول ابن فارس: (نزعت الشيء من مكانه نزعاً: إذا قلعته، ونازعت إلى الأمر نزاعاً، ونزعت إليه، إذا اشتهيته، ونزع عن الأمر نزوعاً إذا تركه)⁽¹⁾.

وفي لسان العرب: نَزَعَ الشيءَ يَنْزِعُهُ نَزْعاً فهو مَنْزُوعٌ ونَزِيعٌ وانْتَزَعَهُ فانْتَزَعَ اقْتَلَعَهُ فاقْتَلَعَهُ... وقيل انْتَزَعَ اسْتَلَبَ ونَزَعَ حَوْلَ الشيءِ عن موضعه وإن كان على نحو الاستلاب، وانْتَزَعَ الرمحَ اقْتَلَعَهُ ثم حَمَلَهُ وانْتَزَعَ الشيءُ انْقَلَعَ، ونَزَعَ الأميرُ العاملَ عن عمله أزاله⁽²⁾.

وهذا المعنى اللغوي للنزاع هو نفس معناه في الاصطلاح، يقال: نزع الشيء جنبه من مقره، ويستعمل ذلك في الأعراض، فيقال: نزع العداوة والمحبة من قلبه، ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ ﴾⁽³⁾، والنزاع: السلب في قوله تعالى: ﴿ وَتَنَزَّعُ الْمُلُوكُ مِمَّنْ كُشَاءَ ﴾⁽⁴⁾، والتنازع والمنازعة المجاذبة، ويعبر به عن المخاصمة والمجادلة⁽⁵⁾ والتنازع: الشيطان لأنه ينزع بين القوم أي يفرق ويفسد⁽⁶⁾.

(1) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، الطبعة الأولى: 1423 هـ - 2002 م 415/5.

(2) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1990م 349/8.

(3) سورة الحجر الآية: 47.

(4) سورة آل عمران الآية: 26.

(5) المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار المعرفة بيروت ص1429.

(6) التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الأولى 1410 هـ - ص323.

وقال الله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾⁽¹⁾، قيل في تفسيرها: أي تجادلتكم واختلقتكم، فكأن كل واحد ينتزع حجة الآخر ويذهبها، والمنازعة على ذلك: مجاذبة الحجج⁽²⁾.

ويمكن القول بأن النزاع صفة حتمية وملازمة للتغيير الاجتماعي، وهو تعبير لعدم التوافق في المصالح والقيم والمعتقدات والتي تتخذ أشكالاً جديدة تتسبب فيها عملية التغيير في مواجهة الضغوط الموروثة⁽³⁾.

والنزاع والتنازع إن كان يراد به مقارعة الحجة بالحجة إظهاراً للحق فهو محمود شريطة أن يصحبه حسن النية والرغبة الصادقة للوصول إلى مصلحة الأمة، أما إذا كان المراد به تحقيق المصلحة الشخصية أو حب الرئاسة أو تفريق الجماعة، أو صحبته مخالفة لأمر من أمور الشرع فهو مذموم منهي عنه⁽⁴⁾.

ويطلق لفظ النزاع في القانون الدولي ويراد به: (الإدعاءات المتناقضة بين شخصين قانونيين دوليين أو أكثر يتطلب تسويتها استخدام قواعد القانون الدولي العام)⁽⁵⁾.

والمقصود بإدارة النزاع في القانون الدولي تلك الجهود التي تبذل بغرض احتواء وتقليص العنف، وحث الأطراف على البدء بتسوية الخلاف، وإنهاء العنف⁽⁶⁾.

(1) سورة النساء الآية: 59.

(2) الجامع لأحكام القرآن 169/5.

(3) مفهوم النزاع: د. عبد اللطيف عبد الحميد، دورة إدارة النزاعات (14 - 18 ربيع الثاني 1434هـ الموافق 24 - 28 فبراير 2013م)، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة أم درمان الإسلامية.

(4) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة الرابعة 4267/9.

(5) المنازعات الدولية: سهيل حسين الفتلاوي، دار القادسية بغداد، الطبعة الأولى 1985م ص 19.

(6) المصدر السابق ص 21.

المطلب الثاني: نواعي وأسباب النزاع:

هناك قيم ومبادئ في الإسلام القصد منها ألا يقع نزاع أو على الأقل تقليل هذا النزاع في المجتمع، منها سعي الإسلام الحثيث على ألا تستحوذ الأشياء المادية على حياة الناس وأن الأصل في السلطة أن يكلف بها الإنسان لا أن يسعى إليها، وأن يكون هناك رضا عن الحاكم، وأن مجال المنافسة المرغوبة في الإسلام هي التقوى وأن الإسلام يذم التنزاع ويعتبره أساساً للفشل وينهى عن الظلم والتعدي والسخرية ويطالب بالوفاء بالعهد والتناصح بين الناس والتثبت من صحة الأخبار⁽¹⁾.

وهناك الكثير من الدواعي والأسباب التي تؤدي إلى حدوث النزاعات بين الأفراد والمجتمعات والدول، ويمكن ذكر أهم تلك الأسباب في الآتي:

[1] التضارب في الأهداف والمصالح:

النزاع مسألة طبيعية وتحدث في كل علاقة تقريبا وعلم النفس الاجتماعي يقر بأنه لا مفر للإنسان من النزاع فهو نتيجة حتمية لتعامله وتواصله مع الآخرين، والإنسان مدني بالطبع وهو في حاجة أكيدة وشديدة إلى التعامل مع أفراد مجتمعه للتصديق على ضرورات قوته ومعاشه وتحقيق متطلبات حياته، وهذه الحاجة يتبادلها الأفراد كما يتبادلها الجماعات بحكم الضرورة الملحة والمصلحة الدافعة، ويحدث الخلاف والنزاع والشقاق وتباين وجهة النظر والرأي ثم إسناد المنافع وتبنيها واقتنصاها.

وقد شرع الله سبحانه وتعالى وسائل لسد النزاع وحماية المجتمع وأفراده في تعاملهم وفي حياتهم المدنية والاجتماعية والشخصية الفردية، وجاءت وسائل الإثبات وإقامة الحجج ورسم الخطط لدفع هذا النزاع وردده وصدده، ولكن مع كل ما يحاط به الموضوع من حماية ورعاية فالخلافات توجد وتتكون والنفوس تتقاذفها الأهواء

(1) فض النزاعات من وجهة نظر إسلامية: الطيب زين العابدين، محاضرة منشورة بموقع السودان الإسلامي على الشبكة الدولية للمعلومات الإثنيين 4/1/2013م.

وتتجاذبها المنافع فتدفعها دفعاً إلى إهدار الواجبات والارتقاء خلف الادعاءات الكاذبة الباطلة توصلًا لأغراض زائلة وأعراض فانية وأرباح تافهة⁽¹⁾.

ومن تعريفات النزاع أنه: تضارب في المصالح أو القيم أو الحاجات والمصالح هي مركز اهتمام الناس، وهي التي تشكل مواقفهم وأهدافهم ومقاصدهم، وقيل أن تتضارب مصالح طرف مع مصالح الطرف الآخر لا بد من ترجمة المصالح إلى تطلعات⁽²⁾.

[2] الظلم:

يعد الظلم من أهم دواعي وأسباب النزاع، وترتبط فكرة العدل والفصل في الخصومات ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة الدينية يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾⁽³⁾، ومقتضى ذلك أن يكون للمؤمن وزع من دينه يدعو إلى الخير ويحجزه عن الشر، وفي السنة النبوية وردت أحاديث كثيرة تحرم الظلم وتتوعد الظالمين منها الحديث القدسي المشهور ولفظه: (يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا... الحديث)⁽⁴⁾.

ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أتدرون ما المفلس؟) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: (المفلس من أمتي: من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا

(1) التحكيم في الفقه الإسلامي: محمود شمام، مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة،

تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، العدد التاسع 1408هـ نقلاً عن المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث.

(2) طبيعة ومكونات النزاع: إبراهيم حمراء، دورة إدارة النزاعات (14 - 18 ربيع الثاني 1434هـ

الموافق 24 - 28 فبراير 2013م)، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة أم درمان الإسلامية.

(3) سورة الحديد الآية: 25.

(4) أخرجه مسلم في الصحيح في 45 كتاب البر والصلة والآداب 15 باب تحريم الظلم 1994/4 حديث

2577 عن أبي ذر رضي الله عنه.

من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيته حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار⁽¹⁾.

والملاحظ في العصر الحالي شيوع الظلم في الأرض وسريانه في العلاقات الإنسانية، مع تكرار التحذير منه وبيان آثاره المدمرة للاستقرار النفسي، والمادي في مواضع كثيرة من القرآن والحديث، ويتفرع عن الظلم مضاعفات ضارة لا حصر لها، من أجل ذلك جاءت تعاليم الإسلام تأمر بالعدل والإحسان والوفاء بالعقود وترغب في العفو عن المسيء، وتتهى عن قربان ما يؤدي إلى العداوة والبغضاء والسعي في الأرض بالفساد، ومن شأن هذا كله أن يستتب الأمن بين المسلمين، ويسود السلام علاقاتهم بغيرهم، ومع ذلك فقد وجدت ظروف وملابسات خفي فيها وجه الصواب، أو التنبس الحق بالباطل، أو تعذرت إقامة الأحكام فظهرت الحاجة ماسة إلى النصح والإقناء، أو إصلاح ذات البين، أو إقامة حكم عدل، أو نصب قاض يفصل بين المتنازعين، وهذه كلها وسائل مترابطة يسلم بعضها إلى بعض، وتتحو نحو هدف واحد⁽²⁾.

[3] الأثرة⁽³⁾ وحب النفس:

ومن دواعي وأسباب حدوث النزاعات بين الأفراد الأثرة وحب النفس أو الذات [الأثنية]، وللاثرة واختصاص الذات أو الأقارب بالمصالح والمنافع دون غيرهم أضرار كثيرة على الفرد والمجتمع، لأنها نوع من الأثنية البغيضة يجلب الحقد بين الأفراد، ويمنع من

(1) أخرجه مسلم في الصحيح في 45 كتاب البر والصلة والآداب 15 باب تحريم الظلم 1997/4 حديث 2581 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) التحكيم في الفقه الإسلامي: محمد جبر الألفي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، العدد التاسع 1408هـ نقلاً عن المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث.

(3) الأثرة هي: أن يختص الإنسان نفسه أو أتباعه بالمنافع من أموال ومصالح دنيوية ويستأثر بذلك فيحجبه عمّن له فيه نصيب أو هو أولى به، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمد الطناحي، المكتبة الإسلامية - بيروت 1383هـ - 22/1.

وصول الحقوق لأصحابها، وتلك حالة تدعو إلى تنمّر أصحاب الحقّ، وإلحاق الأذى بمن استأثر دونهم بالمال أو الوظيفة أو نحو ذلك ممّا ينبغي أن يكون الجميع فيه سواء.

إنّ الأثرة والأنانية⁽¹⁾ إذا شاعت في مجتمع من المجتمعات انحطّ عقده، وانفصمت عراه؛ لأنّ ذلك ظلم لأصحاب الحقوق، وظلم أيضاً لذوي الأثرة الذين يحصلون على حقوق الغير، ممّا يجعلهم كسالى مغرورين، وإذا ما حدث تبدّل في الأوضاع، فإنّهم يطالبون بردّ هذه الحقوق التي غالباً ما يكونون قد أضاعوها لعدم تعبهم في الحصول عليها، وحينئذ تنقلب المنافع إلى مهالك تهوي بهم في قاع السجون، ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى⁽²⁾.

ولا يكتمل إيمان المرء إلّا إذا تحقّق حبّه لأخيه ما يحبه لنفسه وفي هذا ما يخلصه من داء الأنانية وحب الذات، وهو الذي أشار إليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)⁽³⁾.

قال ابن رجب الحنبلي تعليقاً على هذا الحديث: (المقصود أن من جملة خصال الإيمان الواجبة أن يحب المرء لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، فإذا زال ذلك عنه، فقد نقص إيمانه بذلك)⁽⁴⁾.

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن أفضل الإيمان، فقال: (أفضل الإيمان أن تحب لله وتبغض لله، وتعمل لسانك في ذكر الله، قال:

(1) الأنانية: الأثرة، وهي أيضاً مذهب يرد كل شيء إلى الأنا ويعد وجود كل الموجودات الأخرى وهمياً، المعجم الوسيط: أحمد الزيات وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة للطباعة 28/1.

(2) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم 3772/9.

(3) أخرجه البخاري في الصحيح في 2 كتاب الإيمان 6 باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه 14/1 حديث 13 عن أنس رضي الله عنه.

(4) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السابعة، 1422هـ - 2001م 303/1.

وماذا يا رسول الله؟ قال: أن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تقول خيراً أو تصمت⁽¹⁾.

المبحث الثاني

الوسائل الوقائية لمنع النزاعات من خلال السنة النبوية

المطلب الأول: دور السنة النبوية في إبراز قيم العدل والوفاء بالعهد:

الوسائل الوقائية هي الوسائل الهامة والضرورية التي تمنع وترد حدوث أي نزاعات وصراعت قبل حدوثها، وتتعلق بطرح الأفكار والرؤى الإيجابية والاستيعابية والشمولية والمبادئ العلمة التي لا يختلف فيها لثن، كالتأكيد على الاخوة الإنسانية أو الدينية أو الوطنية والحرية السياسية، ونشر ثقافة السلام وتغليب أفكار اللاعنف، واللجوء دائماً الى التفاوض والالتزام بالعهود والمواثيق والمعاهدات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقنين الاختلاف والتنوع في شكل وثيقة مدنية تتضمن احترام الأطراف كافة.

إنّ الإسلام حريص على سلامة أمته وحفظ كيائها وهو لذلك يظفيء بقوة بوادر الخلاف والنزاع، ويهيب بالأفراد كافة أن يتكاتفوا على إخراج الأمة من ورطات الشقاق... وأعداء الإسلام يوتون أن يضعوا أيديهم ولو على شخص واحد ليكون طرفاً ناتناً يستمسكون منه ويجذبون الأمة كلها عن طريقه، فلا جرم حينئذ أن يستأصل الإسلام هذا التتوء لينجّي الجماعة كلها من أخطار بقاءه، ولذلك يقول رسول الله ﷺ⁽²⁾.

(1) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند 247/5 حديث 22183 قال حدثنا يحيى بن غيلان ثنا رشدين عن زيان عن سهل عن أبيه عن معاذ بلفظه وإسناده ضعيف فيه زيان بن فائد: ضعيف الحديث (تقريب التهذيب ص213) وفيه أيضاً رشدين بن سعد: ضعيف (تقريب التهذيب ص209).

(2) خلق المسلم: محمد الغزالي، دار الكتاب الحديثة، القاهرة 1974م ص 197 بتصرف.

العدل كقيمة أخلاقية تمنع من حدوث النزاعات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (1).

قال الجرجاني: (العدل الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط، والعدالة في الشريعة: عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب مما هو محظور ديناً) (2).

وتتضح لنا فضيلة العدل كقيمة أخلاقية إذا عرفنا أن مما تصلح به حال الدنيا قاعدة العدل التام، الذي يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكبر معه النسل، ويأمن به السلطان، وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنه ليس يقف عند حد، ولا ينتهي إلى غاية، وكلّ جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل (3).

وإذا كان العدل من أحده قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به، ولا صلاح فيها إلا معه، وجب أن يبدأ بعدل الإنسان في نفسه، ثم بعدله في غيره، كان ﷺ آمن الناس، وأعدلهم، وأعف الناس، وأصدقهم لهجة وقد كان مشهوراً بهذه الأوصاف قبل الرسالة وبعدها، ولولا هذه الصفات، وخاصة الأمانة لما حصلت الثقة فيه بما يبلغ به عن ربه، ولما اصطفاه الله لحمل الرسالة إلى البشر (4).

(1) سورة النحل الآية: 90.

(2) التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ - ص 153.

(3) أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، دار مكتبة الحياة، بدون طبعة 1986م - ص: 139.

(4) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، دار الفحاء - عمان، الطبعة الثانية - 1407 هـ - 268/1.

وفي السنة النبوية هناك الكثير من الأحاديث التي وردت في الأمر بالعدل منها حديث الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الَّذِي قَالَ فِيهِ: (تَصَدَّقْ عَلَيَّ أَبِي بِبَعْضِ مَالِهِ فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رُوَاحَةَ لَا أَرْضَى حَتَّى تَشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَانطَلِقْ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيَشْهَدَهُ عَلَى صَدَقَتِي فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أَفَعَلْتَ بَوْلَدِكَ هَذَا كُلَّهُمْ؟) قَالَ لَا قَالَ (اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ) فَرَجَعَ أَبِي فَرَدَ تِلْكَ الصَّدَقَةَ(1).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سَبْعَةٌ يَظْلِمُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ... الْحَدِيثُ(2).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنَّ اللهَ إِذَا ضَرَبَ لَكُمْ الْأَمْثَالَ، وَصَرَّفَ لَكُمْ الْقَوْلَ لِتَحْيَا الْقُلُوبُ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ مَيِّتَةٌ فِي صَدُورِهَا حَتَّى يُحْيِيهَا اللهُ، مَنْ عَلمَ شَيْئًا فَلِيَنْفَعْ بِهِ، إِنَّ لِلْعَدْلِ أَمَارَاتٍ وَتَبَاشِيرَ، فَأَمَّا الْأَمَارَاتُ فَالْحَيَاءُ وَالسَّخَاءُ وَالْهَيْبَةُ وَاللِّينُ. وَأَمَّا التَّبَاشِيرُ فَالرَّحْمَةُ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ أَمْرٍ بَابًا، وَيَسِّرَ لِكُلِّ بَابٍ مَفْتَاخًا، فَبَابُ الْعَدْلِ الْإِعْتِبَارُ، وَمَفْتَاخُهُ الزَّهْدُ، وَالْإِعْتِبَارُ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَالِاسْتِعْدَادُ بِتَقْدِيمِ الْأَمْوَالِ. وَالزَّهْدُ أَخْذُ الْحَقِّ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَهُ حَقًّا، وَالِاكْتِفَاءُ بِمَا يَكْفِيهِ مِنَ الْكِفَافِ فَإِنَّ لِمَنْ يَكْفُهُ الْكِفَافُ لَمْ يَغْنَهُ شَيْءٌ...)(3).

والعدل صفة تحمل الإنسان على اعتدال أخلاقه وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين النذل والقحة، وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين

(1) أخرجه مسلم في الصحيح في 24 كتاب الهبات 3 باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة 1241/3 حديث 1623.

(2) أخرجه البخاري في الصحيح في 30 كتاب الزكاة 15 باب الصدقة باليمين 517/2 حديث 1357.

(3) البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف - بيروت 37/7.

الغضب والمهانة وسقوط النفس ومنتشاً جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة ومنتشاً جميع الأخلاق السافلة وبنائها على أربعة أركان: الجهل والظلم والشهوة والغضب⁽¹⁾.
ومما سبق يتبين لنا ان الإسلام قد أعلى من شأن العدل وجعله القاعدة التي تنشأ منها جميع الأخلاق الفاضلة، وبلا شك أن للعدل دوراً كبيراً في الوقاية من وقوع الأفراد والجماعات في النزاع الذي يفضي إلى التخاصم والتدابير والقطيعة، ويمكن القول إن أهمية العدل كقيمة أخلاقية تتمثل في أن النفوس الإنسانية - في بيئة العدل- تتصف بالاتزان والموضوعية، وحسن النظر المفضي إلى شهود براهين الإيمان وتعشقه، بعكس الظلم الذي يثير النفور والإحباط، والتطرف والحمية المفضية إلى الكفر.

المطلب الثاني: محاربة العصبية:

يقرر الإسلام أن الناس جميعاً أمة واحدة وأن المساواة بينهم في الكرامة الإنسانية وفي المسؤولية، مصدرها وحدة النشأة ووحدة المصير يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁽²⁾.

ففي هذه الآية وصف الله تعالى نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الأنام من شخص واحد معرفاً عباده كيف كان مبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة ومنبهم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة وأن بعضهم من بعض وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة⁽³⁾.

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية، 1393 - 1973 م 308/2.

(2) سورة النساء الآية: 1.

(3) تفسير الطبري 565/3.

إن النزاعات العرقية أو ما يسمى بالترقة العنصرية قد جلبت على البشرية في الماضي والحاضر الويلات والمشكلات، والإسلام بمبادئه التي تقرر المساواة في الإنسانية بين الناس جاء لإنقاذ البشرية من تلك النزاعات الفاسدة، وبين أن التفاوت في الألوان والألسن والطاقات ليس سبيلاً لاستعلاء الأقوياء، وامتهان الضعفاء، فهذا التفاوت آية من آيات الله في خلقه، ومظهر من مظاهر حكمته في كونه، ووسيلة من وسائل الابتلاء لعباده، ﴿ وَمِن آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (1).

وقد امتنَّ الله على الأنصار بأن جعلهم إخواناً متحابين مجتمعين بعد أن كانوا على شفا حفرة من النار بسبب النزاعات والخلافات التي كانت بينهم في زمن الجاهلية فقال تعالى: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (2).

وللقضاء على العصبية القبلية عدَّ الإسلام القاعدة الدينية الاجتماعية أساساً يتسع لجميع الأمم والشعوب، ونبذ النبي ﷺ العصبية وحرَّرها منها وعرفها للناس حتى لا يفعلوا فيها فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ما العصبية؟ قال: (أن تعين قومك على الظلم) (3).

(1) سورة الروم الآية: 22.

(2) سورة آل عمران الآية: 103.

(3) أخرجه في السنن أبو داود في 35 كتاب الأدب 121 باب في العصبية 753/2 حديث 5119 حدثنا محمود بن خالد الدمشقي قال ثنا الفريابي قال ثنا سلمة بن بشر الدمشقي عن بنت واثلة بن الأسقع عن أبيها وإسناده ضعيف فيه سلمة بن بشر الدمشقي، مقبول (تقريب التهذيب ص 247).

وعن جندب بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ (من قتل تحت راية عمية⁽¹⁾ يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتله جاهلية)⁽²⁾.

والعصبية: الأقارب من جهة الأب لأنهم يُعصبونهم ويعتصب بهم: أي يُحيطون به ويستند بهم، والعصبية والتعصب: المحاماة والمدافعة⁽³⁾.

وقد كانت تركية المجتمع المدني من قيم العصبية القبلية، والانتقال به إلى - قيم التقوى- العالمية محورا أساسياً من محاور التربية في صدر الإسلام، ولقد ظل التحذير من قيم العصبية أحد العناصر الرئيسية في منهاج الرسول ﷺ إلى أن لخص جهاده ضد الجاهلية العربية في خطبة فتح مكة فقال: (يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية⁽⁴⁾) وتعاضمها بآبائها فالناس رجالان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب⁽⁵⁾.

ولكن "ثقافة" العصبية وقيمها عادت الإمساك بدفة المجتمع بعد الخلافة الراشدة: أي بعد انقضاء جيل الصحابة الذي رباه الرسول صلى الله عليه وسلم، الأمر الذي أدى إلى ظهور التناقض بين المبادئ الإسلامية الداعية إلى مساواة الشعوب والأجناس، وبين

(1) راية عمية: فعيلة من العماء: الضلالة كالقتال في العصبية والأهواء، وحكى بعضهم فيها ضم العين، النهاية في غريب الحديث والأثر 576/3.

(2) أخرجه مسلم في الصحيح في 33 كتاب الإمارة 13 باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة 1478/3 حديث 1850.

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر 482/3.

(4) عيبة الجاهلية: يعني الكبر وتضم عينها وتكسر، وهي فعولة وفعلية فإن كانت فعولة فهي من التعيبة لأن المتكبر ذو تكلف وتعبية خلاف من يسترسل على سجيته. وإن كانت فعيلة فهي من عباب الماء وهو أوله وارتفاعه، النهاية في غريب الحديث والأثر 369/3.

(5) أخرجه الترمذي في السنن في 48 كتاب تفسير القرآن 49 باب ومن سورة الحجرات 389/5 حديث 3270 حدثنا علي بن حجر أخبرنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر بلفظه وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر إلا من هذا الوجه وعبد الله بن جعفر يضعف ضعفه يحيى بن معين وغيره، قلت هو كما قال، انظر (تقريب التهذيب ص 298).

التطبيقات السياسية، والاجتماعية التي قسمت المسلمين إلى عرب وموالي، وفتحت باب الانقسامات في الأمة المسلمة بنسبة التراجع الذي توالى من القيم الإسلامية العالمية إلى القيم العشوية والقبلية⁽¹⁾.

وتجر العصبية إلى المجتمع الكثير من النزاعات، وقد سماها النبي ﷺ جاهلية أي خصلة من خصال الجاهلية وهي التفاخر بالآباء، وقد عاب ﷺ على أبي نر رضي الله حينما ساءب رجلا فغيرته بأمه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أبا نر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية... الحديث)⁽²⁾.

ومع أن منزلة أبي نر من الإيمان في النزوة العالية فقد وبخه النبي ﷺ على ذلك لعظم ما جاء به، وتحذيرا له عن معاودة مثل ذلك لأنه وأن كان معذورا بوجه من وجوه العذر لكن وقوع ذلك من مثله يستعظم أكثر ممن هو دونه⁽³⁾.

المطلب الثالث: الدعوة إلى مكارم الأخلاق:

الخُلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية⁽⁴⁾.

وللقيم الخلقية وظيفتها على المستوى الاجتماعي، حيث إنها تحقق للمجتمع وظائف تقي المجتمع من الأثنية المفرطة، والنزعات، والأهواء والشهوات الطائشة التي تضر به وبأفراده ونظمه، فهي تحمل الأفراد على التفكير في أعمالهم على أنها محولات للوصول إلى أهداف هي غايات في حد ذاتها، وليس على أنها مجرد أعمال لإشباع الرغبات والشهوات.

(1) أهداف التربية الإسلامية: ماجد عرسان الكيلاني، دار القلم الطبعة الأولى ص 198.

(2) أخرجه البخاري في الصحيح في 2 كتاب الإيمان 20 باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك 20/1 حديث 30.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، 85/13791.

(4) إحياء علوم الدين: محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، دار المعرفة - بيروت 53/3.

إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفرادها أن يعيشوا متقاهمين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة، ولو فرضنا وجود مجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع المادية فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى، فإنه لا بد لسلامة هذا المجتمع من خلقي الثقة والأمانة على أقل التقدير، فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم الدمار، فإذا كانت الأخلاق ضرورة في نظر المذاهب والفلسفات الأخرى فهي في نظر الإسلام أكثر ضرورة وأهمية، ولهذا فقد جعلها مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فهو يعاقب الناس بالهلاك في الدنيا لفساد أخلاقهم⁽¹⁾.

والتحلى بالأخلاق الفاضلة من أعظم الوسائل الوقائية التي تحول دون حدوث النزاعات بين الأفراد والجماعات، وأبرز تلك الأخلاق:

[1] الحلم:

الحلم هو ضبط النفس عند الغضب، والصبر على الأذى، من غير ضعف ولا عجز ابتغاء وجه الله تعالى⁽²⁾.

وتتفاوت قدرات الناس في ضبط النفس، والصبر على الأذى، فمنهم من يكون سريع الانفعال ويقابل الأذى دون النظر في العواقب، ومنهم من يتمالك نفسه، ويكبح جماح غضبه، ويتحلى بالصبر والحلم ويتلمس الأعذار والمبررات لمن أساء إليه، كما يرفع الله تعالى منزلة الرجل الحليم، فإنه يناصره ويقف إلى جواره أمام من يعاديه، فقد روي «أن رجلاً جاء إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني،

(1) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم 86/1.

(2) المفردات في غريب القرآن ص 129.

وأحسن إليهم ويسينون إلي، ويجهلون علي، وأطم عنهم، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: إن كان كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك»⁽¹⁾، وبعد الحلم وسيلة إلى تبوء المراكز الهامة في المجتمع، وقد قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: (إن فيك خصلتين يجبهما الله الحلم والأناة)⁽²⁾، والحلم هنا معناه العقل، أما الأناة فهي الثبوت وترك العجلة⁽³⁾.

[2] عدم الغضب:

الغضب: تغيير يحصل عند فوران دم القلب ليحصل عنه التشقي في الصدر⁽⁴⁾، وقيل: هو ثوران دم القلب إرادة الانتقام⁽⁵⁾، وقال التهاني: (الغضب هو حركة للنفس مبدؤها الانتقام، وقيل: هو كيفية نفسانية تقتضي حركة الروح إلى خارج البدن طلباً للانتقام)⁽⁶⁾.

ومن أسباب الغضب: الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزاء والتعيير والممارة، والعناد والغدر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه⁽⁷⁾.

(1) أخرجه مسلم في الصحيح في 45 كتاب البر والصلة والآداب 6 باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها 1982/4 حديث 2558 عن أبي هريرة رضي الله عنه، والمل: هو الرماد الحار، النهاية في غريب الحديث والأثر 2/945.

(2) أخرجه مسلم في الصحيح في 1 كتاب الإيمان 6 باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه 46/1 حديث 17 عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(3) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية 1392هـ - 189/1.

(4) التعريفات ص 168.

(5) المفردات في غريب القرآن ص 374.

(6) كشاف اصطلاحات الفنون: محمد بن علي التهاني، تحقيق: لطفي عبد البديع، القاهرة، 1963م 1089/3.

(7) إحياء علوم الدين 3/179.

وقد حذر النبي ﷺ من الغضب وأبان أنه من الشيطان فعن سليمان بن سرد رضي الله عنه أنه قال: استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه فقال النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم: (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ قال: إني لست بمجنون)⁽¹⁾.

بل جعل النبي ﷺ لجام النفس عم الغضب، فقل لمن طلب منه الوصية (لا تغضب)⁽²⁾.
وقد مدح الله تعالى الذين يغفرون عند الغضب وأثنى عليهم، وأخبر أن ماعنده خير وأبقى لهم من متاع الحياة الدنيا وزينتها، وأثنى على الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، وأخبر أنه يحبهم بإحسانهم في ذلك قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي الضَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽³⁾.

[3] الرفق:

جاء في تعريف الرفق أنه: لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف⁽⁴⁾.

والرفق خلق محمود وبيضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة، وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكير ويمنع من التنبت فالرفق في

(1) أخرجه البخاري في الصحيح في 81 كتاب الأدب 76 باب الحذر من الغضب 2267/5 حديث 5764.

(2) أخرجه البخاري في الصحيح في 81 كتاب الأدب 76 باب الحذر من الغضب 2267/5 حديث 5765 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) سورة آل عمران الآية: 134.

(4) فتح الباري 449/10.

الأمر ثمره لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال⁽¹⁾.

ولأجل هذا أتى رسول الله ﷺ على الرفق وبالغ فيه فقال: (إن الله يحب الرفق في الأمر كله)⁽²⁾، وعن جرير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (من يحرم الرفق يحرم الخير)⁽³⁾.

وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: أن رسول الله ﷺ قال: (يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه)⁽⁴⁾، وفي هذه الأحاديث فضل الرفق والحث على التخلق وزم العنف والرفق سبب كل خير ومعنى يعطي على الرفق أي يثيب عليه ما لا يثيب على غيره⁽⁵⁾.

[4] الصمت وحفظ اللسان:

من الوسائل الوقائية التي تصون المجتمع وتعصم الأفراد من الوقوع في النزاعات الصمت وحفظ اللسان وهو أن يصون المرء لسانه عن الكذب، والغيبة، والتميمة، وقول الزور، وغير ذلك مما نهى عنه الشارع الحكيم، فاللسان من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان، وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان، فإنه أعظم آلة للشيطان في استغواء الإنسان⁽⁶⁾.

(1) إحياء علوم الدين 3/184.

(2) أخرجه البخاري في الصحيح في 81 كتاب الأدب 76 باب الحذر من الغضب 2242/5 حديث 5678 عن عائشة رضي الله عنها.

(3) أخرجه مسلم في الصحيح في 45 كتاب البر والصلة والآداب 23 باب فضل الرفق 2003/4 حديث 2592.

(4) أخرجه مسلم في الصحيح في 45 كتاب البر والصلة والآداب 23 باب فضل الرفق 2003/4 حديث 25932 عن عائشة رضي الله عنها.

(5) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 16/145.

(6) إحياء علوم الدين 3/108.

وقد بين النبي ﷺ خطر اللسان حينما قال لمعاذ رضي الله عنه الذي: (ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده ونروته وسانمه؟ قلت بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: كف عليك هذا، فقلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون مما نتكلم به؟ فقال: تكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم⁽¹⁾).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)⁽²⁾.

والصمت دليل كمال الإيمان، وحسن الإسلام، وهو الذي يجلب السلامة من العطب في المال، والنفس، والعرض وهو دليل حسن الخلق، وطهارة النفس ويثمر محبة الله، ثم محبة الناس ويهيئ المجتمع الصالح، ويعين على تربية النشء الصالح، وتكون عاقبته الفوز بالجنة، والتجاة من النار⁽³⁾.

ومما سبق يتضح أن للأخلاق دوراً كبيراً في الحماية من النزاعات وأنها من أعظم التدابير الوقائية التي تعول عليها السنة النبوية، وقد كان المنهج النبوي في تحقيق هذه الغاية منهجاً متكاملًا، جديرًا بالوقوف معه، والتأمل فيه ليستفيد منه الدعاة في تربيتهم الناس على مكارم الأخلاق، وفاضل السلوك، وسامي القيم فإن التربية الأخلاقية من أشق الأمور لاحتياجها المتابعة والملازمة، وقبل ذلك يجب الوقوف طويلاً أمام المنهج

(1) أخرجه الترمذي في السنن في 41 كتاب الإيمان 8 باب ما جاء في حرمة الصلاة 11/5 حديث 2616 حدثنا ابن أبي عمير حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعاني عن معمر بن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل وقال: حديث حسن صحيح، قلت: بل فيه عاصم بن بن أبي النجود، صدوق له أوهام (تقريب التهذيب ص285).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح في 81 كتاب الأدب 85 باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه 2273/5 حديث 5785 عن عائشة رضي الله عنها.

(3) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم 2644/7.

الواضح السليم الذي سلكه النبي ﷺ فأخرج لنا جيلاً متقرباً بسمو أخلاقه، وعلو همته، ونجاحه في كل الميادين.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات أحمده حمداً كثيراً على ما أنعم به عليّ فبفضله وكرمه تم هذا البحث الذي تناول دراسة موضوع (التدابير الوقائية لمنع النزاعات، دراسة من منظور السنة النبوية) وقد حاول الباحث جهده أن يعطي هذا الموضوع ما يستحقه من الدراسة، وقد هدف البحث إلى بيان اهتمام السنة النبوية بموضوع النزاع وإيراد التدابير الوقائية التي تحول دون الوقوع في النزاعات في السنة النبوية، وبحول الله وقوته توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج يمكن ذكرها فيما يلي:

أولاً: يطلق مصطلح النزاع ويعبر به عن المخاصمة والمجادلة والاختلاف الذي يقع بين الأفراد والجماعات والدول، وهو صفة حتمية وملازمة للتغيير الاجتماعي، وهو تعبير لعدم التوافق في المصالح والقيم والمعتقدات والأفكار.

ثانياً: هناك أسباب ودواع كثيرة تجر إلى النزاعات منها: التضارب في الأهداف والمصالح، الظلم وعدم العدل، بجانب الأثرة وحب النفس.

ثالثاً: يعد شيوع الظلم في الأرض وسريانه في العلاقات الإنسانية من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى النزاعات، وقد أفاضت السنة في التحذير منه وبيان آثاره المدمرة للأفراد والمجتمعات.

رابعاً: في السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي فيها بعض التدابير والوسائل الوقائية التي تمنع من وقوع النزاعات منها إقرار العدل وإبرازه كقيمة أخلاقية تحفظ النفس، ومحاربة العصبية والتطلى بالأخلاق الفاضلة مثل: الحلم وعدم الغضب والرفق والصمت وحفظ اللسان.

التوصيات:

من التوصيات التي نختم بها هذا البحث ما يلي:

- [1] ضرورة التركيز على دراسة مثل هذه الموضوعات وبيان الحكم الشرعي فيها حتى يكون المؤمن على بينة من أمره.
- [2] ضرورة الإهتمام بصيانة المجتمع المسلم من النزاعات التي تؤدي إلى التفرق وذهاب القوة والفتل.
- [3] الإهتمام بغرس القيم الأخلاقية في أفراد المجتمع بصورة علمة وفي النشء على وجه الخصوص لوقايته وتحصينه من جميع الشرور والآفات.

فهرس المصادر والمراجع

- [1] إحياء علوم الدين: محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، دار المعرفة - بيروت.
- [2] أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، دار مكتبة الحياة، بدون طبعة 1986م.
- [3] أهداف التربية الإسلامية: ماجد عرسان الكيلاني، دار القلم الطبعة الأولى.
- [4] البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف بيروت.
- [5] التحكيم في الفقه الإسلامي: محمد جبر الألفي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، العدد التاسع 1408 هـ نقلاً عن المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث.
- [6] التحكيم في الفقه الإسلامي: محمود شمام، مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، العدد التاسع 1408 هـ نقلاً عن المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث.

- [7] تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- [8] التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1405 هـ.
- [9] تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى 1986 م، تحقيق: محمد عوامة.
- [10] التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الأولى 1410 هـ.
- [11] الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م.
- [12] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر الطبري، دار الفكر بيروت 1405 هـ.
- [13] الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- [14] جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السابعة، 1422 هـ - 2001 م.
- [15] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة 1407 هـ - 1987 م.
- [16] خلق المسلم: محمد الغزالي، دار الكتاب الحديثة، القاهرة 1974 م.

- [17] سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- [18] الشفا بتعريف حقوق المصطفى: عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، دار الفيحاء - عمان، الطبعة الثانية - 1407هـ.
- [19] صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- [20] طبيعة ومكونات النزاع: إبراهيم حمراء، دورة إدارة النزاعات (14 - 18 ربيع الثاني 1434هـ الموافق 24 - 28 فبراير 2013م)، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة أم درمان الإسلامية.
- [21] فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة - بيروت.
- [22] فض النزاعات من وجهة نظر إسلامية: الطيب زين العابدين، محاضرة منشورة بموقع السودان الإسلامي على الشبكة الدولية للمعلومات الإثنيين 2013 /4/1م.
- [23] كشاف اصطلاحات الفنون: محمد بن علي التهانوي، تحقيق: لطفي عبد البديع، القاهرة، 1963م.
- [24] لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1990م.
- [25] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية، 1393 - 1973م.

- [26] مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة.
- [27] معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، الطبعة الأولى: 1423 هـ 2002 م.
- [28] المعجم الوسيط: أحمد الزيات وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة للطباعة.
- [29] المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار المعرفة بيروت.
- [30] مفهوم النزاع: د. عبد اللطيف عبد الحميد، دورة إدارة النزاعات (14 – 18 ربيع الثاني 1434 هـ الموافق 24 – 28 فبراير 2013 م)، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة أم درمان الإسلامية.
- [31] المنازعات الدولية: سهيل حسين الفتلاوي، دار القادسية، بغداد، الطبعة الأولى 1985 م.
- [32] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية 1392 هـ.
- [33] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة الرابعة.
- [34] النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمد الطناحي، المكتبة الإسلامية - بيروت 1383 هـ.